

بين الكسب الفردي والجمعي.. كيف يربح الجميع؟؟

2016-02-20 علي حسين عبيد

في التكوين العقلي والنفسي والفكري، والمادي للانسان، هناك اندفاع غريزي لتحقيق الفائدة للذات، وطالما أن الانسان اجتماعي منذ أن وطأ المعمورة، واستقر مع الزمن في تجمعات بشرية كبيرة، في قرى ومدن ودول كبيرة، فهو لم يعد يعيش وحده، ولا يمكن أن يحقق اهدافه بعيدا عن الاحتكاك مع الآخرين، هذا الاحتكاك يأخذ صور واتجاهات عديدة، منها متعاونة وأخرى حيادية لا تفيد ولا تضر، ومنها متناقضة متضادة وهنا تكمن المشكلة.

هناك فائدة فردية، واخرى جماعية تتكون من تجمع الاهداف الفردية لتتحول الى هدف جمعي، يتفق عليه الجميع، ويصبح مع الزمن عنصر تقارب واتحاد فيما بينهم، مثل هذه الاهداف الكبرى المتفق عليها بين الجميع او الاغلبية منهم، هي التي تقود الجماعة، او المجتمع الى التوازن والاستقرار والتطور، وتقليل الخسائر الى أدنى حد ممكن.

الفائدة الفردية: بحسب علماء الاجتماع، هي حاجة الانسان التي تأخذ أبعادا واشكالا مادية وأخرى معنوية، وكلاهما محدد بتشريعات وضوابط تتمثل بالقيم والاعراف والقوانين، وفي كل الاحوال لا يمكن أن يُطلق العنان للانسان في هذا المجال، أي لا يمكن أن يكون المعيار لحاجة الانسان نفسه فقط، كون النفس تخضع للاهواء والرغبات الذاتية، والغرائز التي تدفع بالانسان لتحقيق مصالحه بعيدا عن مراعاة حقوق الجماعة، وفي هذه الحالة يكون هناك تضارب بين المصلحة الفردية والجمعية، لذلك تم وضع القوانين التي تنظم العلاقة بين الطرفين الفرد والمجتمع، على أن يتنازل الفرد بجزء من حرياته كي يعيش بأمن وسلام على نحو جماعي.

الفائدة الجمعية: وهي ذات طابع جماعي يتفق عليه الجماعة، أو المجتمع، كي يتم تحقيق نوع من الانسجام والأمن المجتمعي، وفي هذه الحالة لا يجوز ولا يصح أن تتفوق مصلحة الفرد وفائدته، على مصلحة وفائدة الجماعة، ومن غير الممكن السماح للفرد أن يحقق أهدافا شخصية لا مشرعة بحجة أنها تخدمه او تفيده شخصا، أو أنه صاحب حق في سعيه لتحقيق ما يرغب به، نعم حق

السعف فف هفا المنفال مففول للافراء؁ ولكن فف اطار الجماعة؁ وبما فحافظ على الأهءاف الجماعةفة؁ وهو أمر ءأب علىه الانسان منذ أن فحول من حالة التبعفر والفرففة فف اسلوب العفش والحفاة؁ الى الاسلوب الجماعةف الذي أثقل كاهل الفرف بضوابط وبنوء علىه أن فلتزم بها؁ مقابل العفش بسلام فف اطار الجماعة.

فناقضاف بفن الطرففن

فرى المعنفون بعلم المجتمع؁ ومنهم علماء الاجتماع والمصلفون عموما؁ أن العلاقة بفن الفرف والمجتمع؁ قد فكون فف حالة من الفناقض؁ وهو أمر لا ففءم الطرففن؁ على الرغم من النظرفاف العلمفة الفف ففجع الفرففة على حساب الجماعة او العكس؁ فعلى سبفل المئال فقوم الرأسمالفة على فرفة الفرف؁ ففما فناقضها الشفوعفة الاشتراكفة الفف فقوم على ففضفل الجماعة على الفرف؁ لكن حالة وسطفة؁ فمكن من خلالها مراعاة حقوق الفرف للجماعة وبالعكس؁ ضمن قوائفن وففءفءاف فففق عليها الجمفع كف فعفشوا باستقرار وسلام وففءم.

وهناك من المعنففن والكتاب المهمفن فف هفا الجانب؁ فؤكءون ان العلاقة بفن الفرف والمجتمع علاقة فكاملفة فكلاهما مكملا للآخر؁ ولا فمكن للفرف ان فرقى بءون المجتمع ومن المبال ان فلقى مجفمعا راقفا من ءون أفراده؁ من هفا المنفلق فبءأ ءورة الحفاة وفحاك سفنارفو الواقع؁ فالفرف جزء لا ففجزأ من المجتمع وكل فرف فف المجتمع فمئل عضوا ففه؁ كف ففكون لنا جسءا مئفنا للمجتمع؁ فلو قام كل فرف بءوه سرف مجفمعا معافى ءو مسفقبل مشرق وجيل واع ومثقف؁ فسفر أروع الأمثلة فف الففضر والنهوض الذي أصبح أساسفا فف عالم الفوم.

لاسفما أن قضية أو مباء الففصال مع الفرف الذي فعء لبنة بنائه ووفر أساسه؁ فعء هءفا مهمفا فف هفا المنفال؁ فرى المعنفون وفق المنفلق أن لا مجفمع سلفم إلا بالفرف السلفم؁ ولكن ففءر الاشارة هنا ومن باب الانصاف وبمباء العءالة الى ضرورة خلق منال فصب وإفاحة الفرصة للفرف لكف فنفهض بمجفمعه؁ وهفا لا ففحقق إلا فف المجتمع الذي فكون نموءفا فف الرفء والعطاء للفرف لفلق للفرف بئفة فصبه لكف ففءع وفعود على المجتمع بالففر والعطاء وففءم كل ما لففه من مواهب وقءراف فصب فف صالح الطرففن الفرف والمجفمع.

الهدف اذن هو تقليص البون الشاسع بين اهداف الطرفين، ومحاولة التقريب بينهما الى أدنى حد ممكن، حيث نستنتج مما سبق ضرورة تقليص الفجوة بين الفرد والمجتمع لبناء علاقة متوازنة، وهذا مربوط بحتمية العمل الجماعي والتفاعل مع قضايا وهموم الافراد والمبادرة بتذليل الصعاب أمام الفرد، حينها سنرى مجتمعا منسجما متناغما متعاوننا، لان الفرد بعيدا عن الجماعة لا يشكل شيئا وقد يكون بلا قيمة تذكر، كذلك ينبغي على الجماعة الاهتمام بالفرد لأن الأمر يصب في صالحها أيضا، لذا ينبغي على المجتمع أن يعيد حساباته حيال أفرادها، حتى يتسنى للمجتمع أن يحدد اهداف الفرد وفقا لمصلحة الجماعة، وهذا الأمر ينبغي أن لا يطول المواهب والقدرات الكامنة والمعلنة للفرد، لأنه هناك أنظمة سياسية ومؤسسات خادمة لها وتعمل معها، تسعى لتدمير الفرد وإذلاله من اجل مصلحة النظام السياسي.

فرص تحقيق نتائج جيدة

هل هناك امكانية لإحداث نوع من التوافق والانسجام بين المصلحتين الفردية والجماعية؟، هذا السؤال له أهمية جوهرية في كيفية ادارة العلاقة النموذجية بين الفرد والمجتمع، فالأمر بالغ الحساسية، حيث الفرد مندفع بحزمة من الغرائز وطموحات عقلية معنوية ومادية قد تكون كبيرة، ومؤثرة، والوقوف غير المحسوب بوجه مثل هذه التطلعات ربما ينعكس على شكل خسائر فادحة، فما فائدة أن يقوم المجتمع بتدمير الفرد وما الذي يمكن أن يجنيه الطرفان من ذلك؟.

لكن بالمقابل ما فائدة الجماعة والمجتمع عموما، عندما يسعى الفرد لتحقيق مآرب سريعة زائلة على حساب الاهداف الاستراتيجية للجماعة أو الأمة؟؟ هنا يكمن السؤال الفصل، فمع كل ما يتحلى به الفرد من مزايا وقدرات وامتيازات مادية ومعنوية، كل ذلك لا فائدة منه عندما ينحصر بفائدة الذات فقط، فالحاكم او السياسي يمكنه أن ينشط ويتحرك ويعمل بقوة ونشاط لتحقيق اهداف فردية او عائلية او حزبية، لكن ما هي النتائج في آخر المطاف؟/ ولماذا تنهار الانظمة السياسية والاحزاب التي يتفوق فيها السلوك الفردي على الجماعي؟؟.

ماذا كسب هتلر وموسوليني؟؟ او هيلاسي لاسي؟؟، ماذا كسب عتاة الدكتاتورية في امريكا اللاتينية وافريقيا وفي العالم العربي؟؟ هل حقق هؤلاء السياسيون الفرديون مآرب خدمت الأمة وتاريخها،

وهل بقيت ذكرى جيدة لهم، مثل القادة العظماء الذين آثروا على أنفسهم بأن يخدموا أممهم ومجتمعاتهم بنكران ذات لا شبيه له؟؟ وماذا كانت النتيجة، لقد تم تخليد هؤلاء الأفراد، وتقدمت دولهم ومجتمعاتهم، واصبحوا اليوم في صدارة الشعوب والأمم.

النتيجة اذاً، عندما يعمل الفرد لصالحه فقط سوف يخسر هو وغيره، أما العمل الجماعي الذي يراعي مصلحة الفرد ومواهبه وامكانياته، فهو الهدف الذي ينبغي أن يسعى له الجميع، وخاصة اصحاب القرار السياسي او الاقتصادي او التعليمي او الصحي، حتى يكون هذا النسق من العلاقات هو الرائد والسائد في عموم المجتمع.